السل، والمستشفى سيطعمني ويعالجني، لكنه لن يطعم زوجتي وبناتي.. أرجو أن تكون قد فهمت».

وظل «أبو خميس» يكافح الموت، حتى «سقطت كفه على صدره، وأسدلت الغطاء على وجهه الهارب من الحياة».

والفلسطيني محاصر بالمخابرات المحلية «والقتل في حوادث السيارات، في هذه المدينة، يعني أن القتيل أعيد قتله، بعد أن تم ذلك تحت نير التعذيب، لتدفن الجريمة وتضيع معالمها تحت عجلات سيارة مجهولة تمزق الجسد الميت».

وهو محاصر بإحساسه بتفاهته، الذي تولد من كونه لا دور له: «أنا تافه.. ثمانية وعشرون عاماً عشتها دون أن أحقق شيئاً».

والفلسطيني دون أن يقرر شيئاً، يقتلع من أرضه، وتسحقه مدافع الأعداء. (الشمس تذوب).

هذا الفلسطيني لا يمتلك سوى ذاكرة مشحونة بالموت، وسوى موته المؤكد: «كم سنة يمكن أن يعيش المصدور؟».

الدلالة من خلال السياق

إن وضع هذه القصص في سياقها التاريخي، وفي سياق حياة زعيم سياسي بارز، يمنحها الدلالات العميقة، التي افتقدتها هذه القصص، بسبب كونها بدايات، لم تكتسب النضج والاكتمال. ولهذا سوف ينصرف حديثنا إلى كونها وثائق نفسية واجتماعية، قبل أن نتحدث عن امكانياتها الفنية المضمرة، والتي كانت تشير الى موهبة حقيقية لم تتح لها ظروف حياة القاص أن تبلغ مداها.

هذا الفلسطيني ــ في هذه المجموعة ــ المعبّأ موتاً: ذاكرة وذكرى ومصيراً، وفي أحيان، توقاً، هل يعيش تلك اللحظة المخيفة، حيث حسب المصطلح الفرويدي أن غريزة الموت انتصرت فيه، وأصبح شخصية نيكروفيلية (أي عاشقة للموت) تسعد بانطفاء الحياة؟

الواقع، أن القراءة المتمعنة لهذه القصص تكشف عن اليأس. ولكنه يأس مثابر، يحاول جاهداً أن يقتلع الموت، فيفاجئه الموت عند المنحنى، من حيث لا يتوقع. ان دفع الوجود الفلسطيني إلى قلب مأزق العدم يحفل دلالته. انه رفض لكل عزاء فردي وخاص. ان الفلسطيني، وقد انحصرت خياراته في خيار وحيد: أن يختار الموت الذي يعجبه، قد وضع الأسس النفسية للعنف الثوري.

إن هذا الموت الذي يخنق الذاكرة، ويحدد الفعل، قد أوجد الخيار ونقيضه: اليأس والثورة. لن تتخلص الذاكرة الفلسطينية من أشباح الموتى إلّا بالعنف.

وهذه القصص لا تكتفي بهذا التجريد (الحصار، اليأس، الثورة)، ولكنها تملأ هذا